

طبيعة الشعر وأسس الكتابة الجديدة مند أدونيس

أ. كلفالي سميحة جامعة بسكرة

ملخص :

يسعى هذا المقال إلى الكشف عن طبيعة الشعر وأسس كتابته الجديدة عند أدونيس ، ذلك أنه رفض ضبطه بمفهوم ومعايير ثابتة كما في الشعرية العربية القديمة التي دعا إلى تجاوزها .

Abstract :

This article attempts to reveal the nature of poetry and the foundations of its new writings to Adonis ; therefore he refused to frame it with a fixed concept and standards as in the Arabic ancient poetry in which he claimed to overcome .

تمهيد :

اهتم الشاعر العربي المعاصر بالخطاب الشعري انطلاقا من مستويين ، الأول هو مستوى التشكيل والثاني هو مستوى التنظير النقدي ، فعمل في المستوى الأول على إعادة تشكيل الخطاب الشعري من خلال الانقلاب على الخطاب القديم والثورة على الأساليب البلاغية المتوارثة والتقليد في الشكل والمضمون وسي هذا التشكيل بـ : " الشعر الحر " <sup>1</sup> ، ولم يكن هذا الانقلاب مفاجئا بل كانت هناك عوامل ثقافية واجتماعية وسياسية تغذي الهاجس التحرري إذ أتاحت الحملة الفرنسية على مصر في أواخر القرن التاسع عشر وكذا الغزو الأوروبي للبلاد العربية للناس أن يحسوا بتقدم الغرب ومن ثم تحفيزهم على النهضة والبحث عن الحرية والاستقلال ، وقد أثر هذا في الشعر الذي أخذ ينهض استنادا إلى تقليد الشعر العربي القديم فبدأت مرحلة الإحياء ومن أبرز ممثلها محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم والكاظمي والرصافي .... وكانت مهمتهم تتمثل في إعادة رونق الشعر العربي القديم وقوة لغته والحفاظ على بنائه فكان بالنسبة لهم أنموذجا بكل ما يتضمنه ، ولم يتجاوزوه للتعبير عن واقعهم واستيعاب حاضرهم ، فجاء "المضمون الحديث ضعيف الأثر يخفق داخل هيكل البلاغة التقليدية ضعيف الصوت والصدى ، ومن هنا كانت أزمة هؤلاء الطلائع يحسون الرفض وضرورة التغيير ، ولكنهم غائبون عن معايشة أدوات العصر منشغلون بإحياء التراث " <sup>2</sup>.

وفي أوائل القرن العشرين أطلق خليل مطران دعوته للتحرر ، وقد طالب الشعراء بأن يكونوا " مرآة صادقة لعصرنا في مختلف أنواع رقيه وأن يتغير شعرنا مثلما تغير كل شيء في الدنيا مع بقائه شرقيا ومع بقائه عربيا " <sup>3</sup> ، فمطران لا يرفض القديم كله بل يريد للشعر أن يحتفظ بأصوله وقواعده بشرط العصرية

و التحديث والصدور عن الذات الشاعرة ، فهو عملية خلق فني ، وقد بدأ دعوته على صفحات مجلة " المجلة المصرية " سنة 1900 وأكدها بصدور ديوانه سنة 1908 الذي يعد السمة الأكثر وضوحا على عصريّة الشعر<sup>4</sup> .

إذ هذه الدعوة لمطران بمثابة اللبنة الأولى في تحديث الشعر العربي ، ويلتقي فيها مع تجديد الحركات الأخرى كجماعة الديوان والرابطة القلمية وجماعة أبولو ، إذ تمثل محور التجديد مع جماعة الديوان في التجربة الشعرية ، فمهمة الشعري التعبير عن النفس وتصوير العواطف في صدق وإخلاص وواقعية ، لذلك عارضت الطريقة القديمة لشعراء الإحياء وطالبت أن يكون الشعر مصورا للعصر وذات الشاعر ، وقد تأثر أصحابها بالنقد الغربي من خلال المذهب الرومانسي ، شأنهم شأن شعراء الرابطة القلمية الذين نجحوا في مسعى جماعة الديوان إذ أصبح الشعر معهم تعبيراً عن ذات الشاعر وعالمه الداخلي المهملين في الشعر التقليدي الإحيائي . أما جماعة أبولو فقد ذهبت إلى التجديد أكثر من سابقتها وأكدت على حرية الشاعر وأعطت مفهوماً جديداً للشعر ، غير أن أفكار هذه الحركات ظلت نظرية ، وتجديدهم شكلي متأثر بالشعر الغربي<sup>5</sup> ، أما شعرهم فما زال يحمل خصائص الشعر القديم في شكله وأسلوبه .

والشكل الجديد للشعر " الشعر الحر " لم ينشأ إلا استجابة لمضامين جديدة ، وذلك من خلال حركات التحرر والثورة على الأوضاع السائدة بعد الحرب العالمية الثانية<sup>6</sup> ، ففي أواخر الأربعينيات أخذ الشعر يطرح الرومانسية ليوأكب التطورات الجديدة ويصور الإنسان في حوار مع العالم<sup>7</sup> ، لذلك يربط البياتي الثورة الشعرية في هذه المرحلة بطموحات الشعب من أجل التحرر والعدالة والديمقراطية ، ويربطها حجازي بمشروع النهوض الوطني ، لذلك فليس من الغريب أن يسمى هذا الشعر الجديد بالشعر الحر في هذه المرحلة التحررية<sup>8</sup>

إن عملية التجديد لم تقف عند الثورة التي تهدم من أجل الهدم ، إنما تجاوزتها إلى ثورة فاعلة تهدم لأجل البناء ، فظهرت محاولات جادة مثلت التغيير الجوهرى للقعيدة العربية وكانت البداية مع نازك الملائكة في نهاية الأربعينيات في مقدمة ديوانها شظايا ورماد ، إذ استطاعت أن تؤسس لشكل شعري جديد دعت من خلاله إلى ضرورة التحرر من القواعد الشكلية والعروضية الكلاسيكية ، وسار على نهجها مجموعة من الشعراء الرواد كبدر شاكر السياب والبياتي وصالح عبد الصبور وغيرهم ممن أسسوا لقصيدة الشعر الحر ، لكن سرعان ما ظهرت أصوات نادى بضرورة تجاوزها ، وطالبت بكتابة قصيدة النثر باعتبار أنها الأقدر على التحرر والانعقاد والتمرد على التقاليد العروضية واللغوية الكلاسيكية<sup>9</sup> ، وأسقطوا الوزن كشرط لقيام الشعر فيمكن أن نسمي النثر شعراً مجرد أن يشتمل على مضمون معين وقد تعرض الشعر المنشور إلى هجوم كبير وكانت نازك الملائكة من أشد معارضيها على أساس أنه لا شعر دون وزن<sup>10</sup> .

لقد ساعد على هذا التشكيل مجموعة من الروافد الشعرية الغربية وخاصة الفرنسية بعد قراءة أدونيس كتاب سوزان برنار "قصيدة النثر من بودلير إلى الوقت الراهن" وكذا تطلع الشاعر العربي المعاصر إلى الآخر الأوروبي المتحرر من قيود التشكيل<sup>11</sup> ، فبدأ ظهور قصيدة النثر بشكلها الحديث مع ظهور مجلة شعر اللبنانية سنة 1958 التي تكفلت بنشر الدراسات النقدية الحداثية وترجمة قصائد أجنبية وتبنت مفاهيم قصيدة النثر<sup>12</sup> ، وقد نشرت في العدد 23 من السنة السادسة سنة 1962 أول مرة قصيدتي نثر الأولى لعبد الرحمن مجيد الربيعي والثانية ليوسف الصائغ<sup>13</sup> .

لقد رأى رواد قصيدة النثر وعلى رأسهم أدونيس ويوسف الخال وأنسي الحاج وتوفيق صايغ أن يدعموا كتابتهم الشعرية الجديدة بكتابات نقدية تؤكد توجههم فكان عملهم على المستوى الثاني - بعد مستوى التشكيل - وهو مستوى التنظير النقدي ليصبح الإبداع ثنائيا : خلق متخيلات شعرية وتوليدها من جهة ، ورصد رؤى ومواقف وأفكار وتسجيلها من جهة ثانية<sup>14</sup>

إن ما يسمح للشاعر بدخول الساحة النقدية هو تجربته الشعرية ، إذ تمثل معرفته بمراحلها ومعالجته الواعية لها وإحاطته بجوانبها تأسيسا نقديا يعتمد عليه ، فلا يكفي أن يتحدث عنه النقاد إنما يحاول أن يثبت ذاته بنفسه ، كما أن الثقافة النقدية تستلزم ثقافة وقراءة علمية تختلف عن تلك التي تساهم في تكوينه كشاعر ، وهي التي تجعله يستطيع مغادرة منجزه الشعري لنقد نصوص شعرية لشعراء آخرين والمساهمة في تطوير الشعر والنقد<sup>15</sup> ، وقد نجح أدونيس في التأسيس لكتابة جديدة ، يقول : " كان همنا الأساس أن نكتب وأن نغير لغة الكتابة وأفق الكتابة"<sup>16</sup> .

ويعد أدونيس مبدعا ورائدا في التنظير للحداثة الشعرية ، إذ يقدم أنموذج النص البديل لهذا السائد ، وكانت البداية مع القصيدة التي نشرها سنة 1954 بعنوان " الفراغ " ، والتي رصدت الواقع من حيث هو صورة متشكلة في وعي أدونيس فكانت علامة فارقة في كتاباته الشعرية<sup>17</sup> ، يقول : " طبعا لم أضع لشكلها في ذهني تخطيطا عبأته بالكلام لهذا جاءت نوعا من الفوضى التلقائية على نحو غير مدروس مسبقا وغير منتظم"<sup>18</sup> ، والتجديد عنده لم يكن على مستوى التشكيل فحسب ، " إذ لا يكون في مجرد اختلاف النسق التشكيلي عما كان عليه في الماضي إنما يكون حيث تهدم البنى القديمة نظرة ورؤية وحساسية وتعبيرا"<sup>19</sup> .

فأدونيس ينظر إلى الواقع نظرة جديدة فهو لا يصفه بل يرفضه ويدعو إلى تجاوزه وتخطيه يقول : " حاولت في هذه القصيدة للمرة الأولى أن أنظر إلى الشيء السياسي الاجتماعي الراهن من موقف نضالي واثق ... فهي قصيدة سياسية تنمو نموا تفاعليا : ترفض الراهن فيما تصفه لكن في لهب من التوكيد على إمكانية تخطيه وبناء حياة جديدة"<sup>20</sup> .

لقد دعا أدونيس إلى تخطي قيم الثبات والجمود في الشعر من ناحيتي الشكل والمضمون ، لذلك فهو لا يستند إلى قواعد وضوابط كما في الشعرية القديمة ، فنجدته يرفض تحديده أو ضبط مفهوم له .  
1- طبيعة الشعر وآليات التشكيل عند أدونيس:

تعددت مفاهيم الشعر بتعدد العصور الأدبية وكذا في العصر الواحد فقد اختلفت التفسيرات في فهمه فكل مذهب يعطي تفسيراً يتلاءم مع المنهج الذي يتبعه <sup>21</sup> ، وقد لا يستطيع المذهب الواحد أن يحيط بالشكل من كل جوانبه لذلك قد يتعدد مفهومه بتعدد الشعراء والنقاد في المذهب الواحد فنجدهم يختلفون في تحديد تعريف دقيق له لأنهم لا يستطيعون رصد المتحول والمتغير الذي هو من طبيعة الشعر ، وكذلك فهم يتفاوتون في مدى فهمهم للفن الشعري بتفاوت أزمته وثقافتهم وظروفهم <sup>22</sup> ، فمفهوم الشعر مرتبط بحياة الإنسان وهو مفهوم خلافي متعدد بتعدد الزمان والمكان والمذاهب والنقاد <sup>23</sup> ، فالإبداع ينشأ من امتزاج عناصر متعددة ومتنوعة وقد تكون متناقضة فالخاص يمتزج بالعام ، والذات تمتزج بالخاص ، والأنا تنماهي في المجموع ، والفطرة تتفاعل مع العبقرية لتكون هذا المنجز الجمالي " <sup>24</sup> ، والشعر باعتباره عملية إبداعية فهو تفاعل عناصر مختلفة ومتنوعة يصعب حصرها ، وهو ما تنبه له رواد الشعر العربي الحر حين رفضوا المفاهيم الكلاسيكية التي كانت تحصره في عناصر محددة كالوزن والقافية واللغة الشعرية ، فقد توصل حجازي إلى أنه لا توجد مقاييس محددة للشعر " فالمقاييس متطورة وما يصلح لفترة ليس بالضرورة أن يصلح لغيرها و ما يصلح لمجتمع لا يصلح لمجتمع آخر بالضرورة " <sup>25</sup> ويقر عبد الصبور برحابة الشعر وبأنه لا يمكن إدراكه كاملاً لذلك فهو يكتفي بالجانب الذي رآه أكثر أهمية إذ انطلق في تحديده من إعلاء التجربة الشعرية <sup>26</sup> ، وعلى هذا الأساس رأى أنه لكل شاعر مفهومه الخاص للشعر حسب الجانب الذي أدركه منه .

ويتفق عبد الوهاب البياتي مع صلاح عبد الصبور في إعلاء التجربة الشعرية ، غير أنه نظر للشعر من منظور ثوري إذ جعله حلقة مهمة في عملية الثورة ، غير أنه حتى يحقق إبداعيته لابد من ربطه بمفهوم الخلق والرؤيا التي جعلها قومية وأكد على ضرورة أن تنبع من الواقع والمجتمع <sup>27</sup> ، فالبياتي رغم إقراره بإعلاء التجربة الشعرية فهو لا ينفي رحابة الشعر فهو رؤيا .

لقد اختلف رواد الشعر العربي الحر في تحديدهم للشعر فمنهم من يعلي شأن التجربة الشعرية ومنهم من يركز على اللغة الشعرية ، إلا أنهم يتفقون في شموليته ولامحدوديته فهو مرادف عند الكثيرين للخلق والرؤيا .

أدرك رواد الحدائثة أنه لا يمكن تحديد الشعر لعدم وجود مقاييس ثابتة ومحددة ، فراحوا يحاولون تمييزه كجنس أدبي له تفرده وكيانه بعيداً عن المعايير القديمة التي تجعل الوزن معياراً مهماً لتمييزه

الشعر عن النثر ، فذهب علي جعفر العلق لنقد الشعرية العربية فهي " لا تعد الوزن إلا عاملا حاسما ووحيدا في تحديد الشعر والإقرار بشعريته ، مع أنه عنصر خارجي لا يتحكم كمونه كمونا قبليا في لغة الشعر ، وقد استدعى هذا الرأي أن تكون أرجحية الشعر على النثر لم تنبثق تماما عن طبيعة داخلية ، بل من عامل أساسي وهو الوزن " <sup>28</sup> فالعلق لا يوافق الشعرية العربية في عد الوزن عنصرا أساسيا في تمييز الشعر فهو عنصر خارجي لابد أن يتحدد بمضمونه ، وهو ما ذهب إليه مدحت الجيار حين أطلق صفة الشعري على كل نص يخلق بخياله ويخاطب الروح الإنساني حتى لو لم يكن قصيدة أو مقطوعة <sup>29</sup> ، لكنه يخلط بين الشعر والشعري دون أن يحدد خصائص الشعر كجنس أدبي له طبيعته واستقلالته عن غيره من الأجناس ، فالنثر لا يمكن أن يعد شعرا حتى وإن ارتفع مستوى شعريته .

و مثله أدونيس ، فالشعر عنده يوجد في القصيدة وكذلك في الأجناس الأدبية الأخرى وليست له مقاييس تحدده ، إنما هي للقصيدة ، ولذلك نجده يدخل قصيدة النثر في الشعر ، يقول : " في رأيي يجب أن تزول الحدود النوعية التي لا تزال تميز بين ما نسميه ( قصيدة الوزن) وما نسميه ( قصيدة النثر) ، إنما القيمة هي في الشعر وليس في مجرد الوزن أو مجرد النثر " <sup>30</sup> ، فالشعر عنده لا يتحدد باختلافه عن النثر ، وذلك بأن يشتمل على الوزن الذي لا يصلح لأن يكون مقياسا للشعر " فليس كل كلام موزون شعرا بالضرورة ، وليس كل نثر خاليا بالضرورة من الشعر " <sup>31</sup> ، فأدونيس لا يجعل الوزن معيارا للفصل بين الشعر والنثر ، لأن الشعر أكبر من أن يتحدد بهذا المعيار ، فالشعر عنده هو كل تعبير شعري أما النثر فهو ما خلا من الشعرية ويفصل بينهما بجملة من الفروق :

#### النثر:

- اطراد وتتابع لأفكار ما.
- ينقل فكرة محدودة.
- أسلوبه واضح.
- ذو غاية خارجية .
- المعنى محدد.

#### الشعر:

- الاطراد ليس ضروريا.
- ينقل حالة شعورية ، أو تجربة.
- أسلوبه غامض.
- غايته في ذاته.

- معناه متجدد بحسب السحر الذي فيه أو بحسب القارئ.<sup>32</sup>

إن أدونيس يميز بين النثر والشعر بأن يضع الشيء ونقيضه ، فكلما وضع خصيصة في مجال النثر وضع ما يخالفها في مجال الشعر ، أي إن هوس الاختلاف هو الذي حدد خصائص كل من الكتابتين <sup>33</sup> ، كما لا نجد أنه يحدد الشعر كجنس أدبي له خصائصه فهو يساوي بينه وبين الشعري ، والحقيقة هي أن الشعر شكل أدبي والشعري جوهر لا يصلح أن يكون وحده معيارا للتمييز .

لقد رفض أدونيس المقاييس والقواعد التي تضبط الشعر حتى لا يجعله محدودا ، واكتفى بوجوب شعرية حتى وإن كان نثرا بغض النظر عن الوزن ( لذلك عد قصيدة النثر شعرا ) ورأى أن التعبير يكون بأربع طرق هي :

- التعبير نثريا بالنثر .

- التعبير نثريا بالوزن .

- التعبير شعريا بالنثر .

- التعبير شعريا بالوزن.<sup>34</sup>

فالشعر يكون بطريقتين : التعبير شعريا بالنثر والتعبير شعريا بالوزن ، على أن يكون هذا التعبير جديدا مخالفا الطريقة التقليدية والتعابير السائدة <sup>35</sup> ، ويقصد بالتعبير طريقة استخدام اللغة ، يقول : " إن طريقة استخدام اللغة مقياس أساسي مباشر في التمييز بين الشعر والنثر ، فحيث نحيد باللغة عن طريقتها العادية في التعبير والدلالة ، ونظيف إلى طاقاتها خصائص الإثارة والمفاجأة والدهشة يكون ما نكتبه شعرا " <sup>36</sup> ، فاللغة هي التي تميز الشعر ويجب أن تحيد عن الاستعمال العادي وتخرج عن المألوف فتكون لغة مجازية ، ويشترط فيها خصائص هي الإثارة والدهشة والمفاجأة ، وذلك بأن يخرج المجاز عن طريقة القدماء بأن يبدع الشاعر لكلماته تاريخا جديدا مضيئا إلى التحولات التي أنجزها سابقوه بعدا جديدا يؤسس لتاريخ جديد من التحولات " حيث يصبح للكلمة ضوء ووهج جديدين وعلاقات جديدة وظلال أخرى تتجدد وتتغير حسب سكنها كل مرة في سياقات مبتكرة وجديدة " <sup>37</sup> ، فلغة الشعر يجب أن تكون مبتكرة وهذا يجعلها بعيدة عن الوضوح ، فالقصد في الشعر هو الغموض الذي يثير السؤال ويطيل طريق البحث حتى يستنفد الأقصى يقول :

الخيام الخيام

غابة تنقلب أغصانها في رياح الكلام

وأنا أتقلب في ذات نفسي أردد :

كلا : لا أحب الضياء

لا شيء سوى أنه كاشف

هكذا كي أطيل الطريق السؤال وأستنفد الأقصي

كم أردد في ذات نفسي

أحب الخفاء<sup>38</sup>

ولغة المجاز هي التي تجعل الشعر غامضا ، ذلك أنه كلما اقترب من الحقيقة ابتعد عن أن يكون

شعرا يقول:

عندما تتوهج فينا الحقيقة

لا نتكلم إلا مجازا<sup>39</sup>

فلغة الشعر يجب أن تسمو عن اللغة العادية ، ذلك أن " لغة الشعر هي لغة الإشارة في حين أن اللغة العادية هي لغة الإيضاح ، فالشعر بمعنى ما جعل اللغة تقول ما لم تتعلم أن تقوله " <sup>40</sup> ويريد أدونيس بلغة الإشارة لغة الخلق ، فالشعر يخلق لغة لا عهد لنا بها ، وذلك بشحن الكلمات بمعان جديدة وعتقها من معانيها القديمة يقول :

ليس من شهواتي

أن أفيء إلى عبرة

أو إلى حسرة وأرقق شعري بها

وأبكي وأبكي

شهواتي

أن أظل الغريب العصي

وأن أعتق الكلمات من الكلمات<sup>41</sup>

فأدونيس لا تغريه طريقة القدماء في البكاء والاستبكاء حين وقوفهم على الأطلال ، فهو يرفض أن يكون مقلدا ، وسمه التجديد عنده هي الغموض وذلك بأن تستعصي لغته على الفهم حتى تكون ساحرة يقول :

مزجت بين النار والثلوج

لن تفهم النيران غاباتي ولا الثلوج

وسوف أبقى غامضا أليفا

أسكن في الأزهار والحجارة

أغيب

أستعصي

أرى

أموج

كالضوء بين السحر والحجارة<sup>42</sup>

ويتفق أدونيس مع محمد بنيس حين حدد وظيفة اللغة الشعرية في السحر والإشارة ، فهي لا تعبر ولا تصنف أي لا تبوح ولا تصرح وهذا هو مصدر غموضها<sup>43</sup> ، فاللغة الشعرية كيميائية تحول وتغير لذلك يجب أن تتحرر من طرق استخدامها القديمة<sup>44</sup> ، وذلك بأن تقيم الكلمات علاقات غير مألوفة وتحيد عن معناها المعجمي " لا بد للكلمة في الشعر من أن تعلق على ذاتها ، أن تزخر بأكثر مما تعد به، وأن تشير إلى أكثر مما تقول... علينا في الشعر أن نخرج الكلمات من ليها العتيق ، أن نضيئها ، فنغير علائقها ونعلو بأبعادها"<sup>45</sup> ، فهو لا يريد لغة أحادية المعنى بل يريد تحريره يقول:

شعر ، -

هل يحتاج الشعر إلى قيد

كي يوغل في تحرير المعنى ؟<sup>46</sup>

وحتى يتحرر المعنى فلا يكفي الشاعر أن يستعمل الكلمات على وجه لم تستعمل به من قبل ، بل عليه أن يحرر اللغة من وثاق الماضي والحاضر ، بمنحها القدرة على التجاوز والعبور نحو المستقبل<sup>47</sup> ، فاللغة الشعرية " تكشف عن الإمكان أو عن الاحتمال أي عن المستقبل وبما أن المستقبل لا حد له فإن اللغة الشعرية تبعاً لذلك تحويل ، أي تحويل للعالم وتغيير دائم للواقع والإنسان"<sup>48</sup> .

فاللغة الشعرية لا يجب أن تمتلك دلالات سابقة ، فهي ليست رجعية تحيل إلى الماضي والتراث ولا حتى الحاضر بأن تكشف عن الواقع وملابساته ، بل هي لغة استشرافية تكشف عن الممكن والمحتمل في المستقبل ، وهي إلى جانب ذلك ثورية لأنها تريد التغيير ؛ تغيير العالم والواقع والإنسان .

فالسبيل إلى تحرير المعنى - حسب أدونيس - يكون بتحويل الكلمات عن معناها التقليدي وهي فكرة لألبيرس جاء بها أدونيس فيما بعد<sup>49</sup> ، ويبدل علاقاتها بجاراتها أي إن العلاقات بين الكلمات لا يجب أن تكون مألوفة إنما يجب أن تبنى على الانحراف ، ثم يضع القصيدة في نسق جديد ، وبذلك يبتكر لغة شعرية جديدة منفتحة المعنى ، يقول : " أحاول أن أتصور اللغة مثل أنية مليئة بأشياء ماضية ، لا مليئة فحسب بل مرتبة من حيث علاقاتها ببعضها بشكل ماض ... وأول ما أعمله أن أفرغ هذه اللغة من محتواها ، وأحاول أن أشحنها بدلالات جديدة تخرج عن معناها الأصلي ، ثانياً إبدال علاقاتها بجاراتها ، ثالثاً أغير جذريا النسق الموضوع فيه كقصيدة ، وهذه الأفعال الثلاث يخل إلى أنني يمكن أن أبتكر لغة جديدة "<sup>50</sup> .

إن تحرير المعنى لا يكون إلا بلغة المجاز ، بعد أن يحررها الشاعر من قيود الماضي والمتعارف والمألوف ، لكن هذا لا يتم بالخروج عن سلطتها بل ضمن حدودها وقوانينها يقول :

ما الذي يفعل النحو والصرف ...



لا أضيف إليه لا أشياء الذي لا يشاء  
وأرى كيف يفتح أحضانه  
لملائك أحلامي الماردة ، -  
نحن في جبة واحدة

فأدونيس يقرب أن التحرير لا يكون بتجاوز قواعد اللغة نحو و صرفا ، إنما بإخضاعها لتتماشى مع رؤاه وأحلامه، فالمسألة "مسألة انفعال و حساسية و توتر و رؤيا لا مسألة نحو وقواعد" <sup>51</sup> ، وهو لا يعتبرها قيذا فالشاعر إنسان حر لأن له مقدرة على الإبداع الذي يراه أكبر من تلك القواعد فهو وحي :

لا أتواصل إلا حبا أو وحيا  
لن أشكو قيدي  
هذا اليوم لأي جناح <sup>52</sup>

إن أدونيس يؤسس لشعر جديد بعيدا عن معايير الشعرية العربية القديمة ، إذ لا يعتبر الوزن مقياسا للفصل والتمييز بين الشعر والنثر فالأساس عنده هو طريقة التعبير أي استخدام اللغة الشعرية التي تقوم على المجاز والانحراف حتى يتحرر المعنى ، فالشعر لا يقبل الانغلاق بل يتخطاه لأنه خلق ، ورؤيا لا نهاية لها .

## 2- التجريب وأسس الكتابة الجديدة عند أدونيس :

دعا أدونيس إلى فهم التراث والاتصال الدائم به دون إعادة نماذجه ، فعلاقة المبدع به علاقة جدلية : علاقة انقطاع واتصال : انقطاع عن السطح واتصال بالعمق ، فالحدائث تستمد من الماضي قوتها وحضورها وتتجاوز البنى الكلامية التقليدية <sup>53</sup> ، والشاعر الجديد " لا بد من أن يكون متأصلا في التجربة العربية بأبعادها الشاملة ، في نراها ، في لهيها ، لكن إلى درجة الغربة عن نمطية التعبير عنها ، أي عن الأثافي وعن الرماد " <sup>54</sup> ، أي إن الشاعر مطالب بالتجديد في موضوعاته وفي طرائق تعبيره وهو ما سماه بالتجريبية ، ويعرفها بأنها : " المحاولة الدائمة للخروج من طرق التعبير المستقرة أو التي أصبحت قوالبا وأنماطا وابتكار طرق جديدة ، وتعني هذه المحاولة إعطاء الواقع طابعا إبداعيا حركيا " <sup>55</sup> .

ويفهم من تعريفه أنه يدعو إلى خلق مرحلة جديدة في التعامل إبداعيا مع الواقع تتجاوز مرحلة الثبات والانتلاف إلى التغيير والاختلاف ، إذ يجب ابتكار طرق تعبير جديدة غير تلك الطرق التي كانت تمثل الأنموذج المتبع الذي ينظم الشاعر على منواله .

وتأتي دعوة أدونيس إلى الشعر التجريبي في ظل دعوته إلى الثورة فهو : " وحده الشعر الثوري " <sup>56</sup> ، لأنه يتجه نحو إنشاء رؤيا جمالية خاصة به فهو يكتب بناء على منطق الاختلاف والتجاوز .

وحتى يكون الشعر التجريبي الثوري فعلا لا بد أن يكون الجمهور ثوريا وإلا تحول الشعر إلى تظاهرة كلامية، وأفرغت اللغة من طاقتها الفعالة ، لأنه حينها سيتحدث بلغة تناقض لغة العمل<sup>57</sup> ، فالشعر التجريبي لا بد أن ينطلق من روح الأمة ويعبر عن تطلعاتها لأجل عالم أفضل وحياة إنسانية أرقى .

ومثلما تتجاوز التجريبية الماضي فهي تتطلع إلى المستقبل لأنها " تجسيد لإرادة التغيير ورمز للإيمان بالإنسان وقدرته غير المحدودة على صنع المستقبل لا وفقا لحاجاته فحسب بل وفقا لرغباته أيضا " <sup>58</sup> .

ويحدد أدونيس خصائص التجريبية في النقاط الآتية :

أولا : الشعر التجريبي ليس اتباعا ولا انسجاما ولا ابتلافا وإنما هو على العكس اختلاف .

ثانيا : البحث المستمر عن نظام جديد للكتابة الشعرية .

ثالثا : لا يكتب الشعر التجريبي بناء على منهجية مسبقة (الطرق والنماذج التقليدية ) إنما هو

تحرك دائم في أفق الإبداع .

رابعا : قيم الإبداع الشعري ليست تراكمية إنما انبثاقية فهو يسعى دائما نحو الخلق والكشف .

خامسا : يتحرك الشعر التجريبي دائما في أفق ثوري إنساني<sup>59</sup> .

فالشعر التجريبي يؤسس للاختلاف وذلك بإلغاء النمط والقاعدة وتحرير الإبداع من دائرة النموذج

الشعري الضيقة إلى أفق واسع لأن سمة هذه الدائرة الانغلاق وفيها :

التموضع – الاستقرار – التثبيت – المحاكاة – الشبهية – النظام – الدولة<sup>60</sup> ، وهي عقبات تحول دون الإبداع

و الشعر التجريبي هو الشعر الذي يخرج عن هذه الحدود ويرفض الاستقرار "لأن في الاستقرار

تموضعا ، وفي التموضع محاكاة ، وفي المحاكاة تثبيتا ، وهذا ما يتنافى مباشرة مع طبيعة القصيدة الإبداع

والقصيدة الرؤيا والقصيدة الدفعية الكيانية ، وإذا كان المدار الأول يمثل المستوى الأول من مستويات المقايسة

، فإن المدار الثاني يمكن أن يمثل أعلى مستوياتها خاصة عندما تتجاوز سلطة النموذج المدار الأول وتصل

إلى مدار تتخذ فيه المحاكاة طابع الأيديولوجية"<sup>61</sup> .

أي إن الشاعر التجريبي يجب أن يخرج عن سلطة النموذج على مستويين : المستوى الأول وفيه تقع

المحاكاة فتكون النماذج متشابهة لا تميز ولا تفرد فيها ، أما المستوى الثاني وفيه سلطة النظام أو الأيديولوجية

والتي لا مكان فيها للاختلاف أو حرية التعبير .

ومادام الشعر التجريبي هو الشعر الجديد فلا بد من أسس جديدة في الكتابة ، لأنها لم تعد " محاكاة

وائتلافا وإنما هي اختلاف وإبداع "<sup>62</sup> ، وهي " التي تمارس تهديما شاملا للنظام السائد وعلاقاته "<sup>63</sup> ، ويحدد

أدونيس الفرق الحاسم بين الكتابة الشعرية القديمة والكتابة الجديدة ، وهو أن الأولى تعبير عن المعروف فهي

تعكس واقعا وأفكارا ، أما الثانية فهي خلق لما هو غير معروف في بنية شكلية غير معروفة ، أي إن الخاصية

الجوهرية للشعر الجديد هي إحلال لغة الخلق محل لغة التعبير "<sup>64</sup> .

- فالكتابة الجديدة تجسيد لرؤيا المجهول ونفي المعلوم<sup>65</sup> ، ويحدد أدونيس ملامحها في النقاط الآتية :
- الإبداع دخول في المجهول لا في المعلوم وهذا المبدأ أحد معايير الهدم في الرؤية القديمة إلى التفكير والشعر والكتابة .
  - يجب أن تتغير الكتابة تغييرا نوعيا ، بأن تزول الحدود التي تقسمها ، فإلغاء الحدود بين الأجناس الأدبية يدعو إلى نوع واحد من الكتابة .
  - تغيير العلاقة في الإبداع فلا تعود بين الخلاق وتراث سابق بل بين الخلاق وحركة الخلق .
  - يجب أن نكتب ونقرأ بروح التوكيد على فعل الخلق ، أي إن الإنتاج حركة خلاقة وصيرورة لا نهائية .
  - يجب أن نكتب ونقرأ فيما نعي وعيا أصيلا أن الثقافة ليست في الشيء القائم المؤسس وإنما فيما يتحرك ويؤسس .
  - المعنى هو نتاج الكتابة : أي إن الكتابة سؤال لا جواب ، فلا تكون لها بداية معلومة أو نهاية معلومة فيتغير بذلك فعل القراءة لتسلك بذلك سبيل التأمل والسؤال<sup>66</sup> .
  - وأدونيس من خلال هذه المعايير يؤكد على محاور أساسية في الكتابة الجديدة وهي :
    - تجاوز التراث والأنواع الأدبية.
    - انفتاح الكتابة باعتبارها خلق لا تعبير .
    - القراءة إنتاج متجدد .
  - ومادمت الكتابة الجديدة رؤيا بواسطة اللغة فلا بد من :
    - استخدام لغة جديدة .
    - ابتكار بنية تعبيرية جديدة .
    - وضع التجربة أو الرؤيا في عالم متكامل<sup>67</sup> .
  - ويركز أدونيس على اللغة الشعرية باعتبارها مادة الكتابة ويدعو إلى تحريرها وذلك انطلاقا من ثلاث لحظات كتابية متداخلة ، وهي كالآتي :
  - اللحظة الأولى : حين تتحرر اللغة من طرق استخدامها القديمة ، تحول الأليف وتغير الواقع ، فتتقاطع وتتفاعل مع التجربة الكتابية في العالم .

اللحظة الثانية: تصبح الكتابة طبيعة ثانية إزاء الطبيعة الاجتماعية فتتقاطع كذلك مع التجربة الكتابية في العالم: الرمزية ، السريالية ، الانطباعية ...

اللحظة الثالثة: تصبح الكتابة بنية وحينها تشوش خريطة الأنواع الأدبية فتتقاطع مع التجربة الكتابية في العالم<sup>68</sup>.

فاللغة الشعرية الحقبة لا يجب أن تكون ملكا لفرد أو لطائفة إنما يجب أن تكون ملكا للعالم كله ، فكتابة أفلاطون أو ماركس ليست ملكا لهما وللغرب ، كما أن الكتابة الصوفية ليست ملكا للعرب و حدهم<sup>69</sup> ، فهذه الكتابات استحكمت أن تأخذ صفة العالمية لأنها ألغت الحدود وتحررت منها .

ويدعو أدونيس الأجيال الناشئة لأن تخرج من التواتر والتكرار فخير لها أن تفشل وتخطئ في عالمها الخاص من أن تنجح وتصيب في التقليد ، والقصيدة الجديدة عندما تحرر اللغة فهي تحرر الواقع والإنسان ، فالشاعر لا يقدر على خلق قصيدة عظيمة إلا بمجابهة الحياة كلها مجابهة خلاقية عظيمة<sup>70</sup>.

إن دعوة أدونيس لتحرير اللغة إنما هي دعوة لتحرير الواقع بل وللتحرر منه ، فهو يرفض أن يكون الشعر انعكاسا له والشاعر عندما يتجاوز يلج واقعا آخر وفيه يتم الخلق والكشف .

فالشعر التجريبي ليس ممارسة وتأسيسا لكتابة جديدة فحسب إنما هو تأسيس جديد للعالم و" الشعر تأسيس باللغة والرؤيا : تأسيس عالم واتجاه لا عهد لنا بهما من قبل " <sup>71</sup>.

فالشاعر يؤسس بلغته لعالم غير العالم الحقيقي ، إنما هو عالم ممكن يقع في المستقبل " ومن هنا يعيش الشاعر ويكتب مأخوذا بالمستقبل وهاجس المستقبل هاجس صيرورة و استباق هاجس تحول " <sup>72</sup> ، وأدونيس نفسه مأخوذ بالمستقبل لأنه نقيض الماضي ، مأخوذ بالتحول لأنه نقيض الثبات.

#### الخلاصة :

يعد أدونيس رائدا ومبدعا في التنظير للحدثة الشعرية العربية ، إذ يقدم نموذج النص البديل لما هو سائد ، مؤسسا لكتابة جديدة بعيدا عن المعايير التقليدية التي تجعل الوزن معيارا لتمييز الشعر عن النثر ، فليس كل كلام موزون شعرا ، وليس كل نثر خال من الشعرية ، لذلك عد قصيدة النثر شعرا .

لقد رفض أدونيس المقاييس والقواعد التي تضبط الشعر حتى لا يجعله محدودا ، واكتفى بوجود شعرته إذ يكون بطريقتين إما التعبير شعريا بالنثر ، وإما التعبير شعريا بالوزن .

ويقصد بالتعبير طريقة استخدام اللغة ، إذ يجب أن يحيد عن طريقها العادية في التعبير والدلالة ، فتكون لغة مجازية كما يجب أن يخرج المجاز فيها عن طريقة القدماء بأن يبدع الشاعر لتاريخ جديد من التحولات ، ويدخل هذا ضمن دعوته للتجريب .

ولما كان الشعر التجريبي شعرا جديدا ، فلا بد له من أسس جديدة في الكتابة ، وهي الأسس التي حددها أدونيس ، ودعا إليها باعتبار أن الكتابة الشعرية القديمة تعكس واقعا وأفكارا ، أما الكتابة الجديدة فهي خلق لما هو غير معروف وتجسيد لرؤيا المجهول

#### الهوامش والمراجع

- <sup>1</sup> ينظر: حبيب بوهرر: تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، عالم الكتب الحديث ، إربد – جدارا ، عمان ، ط1 ، 2009 ، ص7
- <sup>2</sup> ستار عبد الله ، إشكالية الحدائث في الشعر العربي المعاصر ، رند للطباعة للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط1 ، 2010 ، ص 17
- <sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص 20
- <sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه ، ص 21
- <sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه ، ص 32
- <sup>6</sup> ينظر: فاتح علاق : مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 ، ص 95
- <sup>7</sup> ينظر: ستار عبد الله ، إشكالية الحدائث في الشعر العربي المعاصر ، ص 34
- <sup>8</sup> ينظر: فاتح علاق : مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ، ص 98
- <sup>9</sup> ينظر: حبيب بوهرر: تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، ص9
- <sup>10</sup> ينظر: ستار عبد الله ، إشكالية الحدائث في الشعر العربي المعاصر ، ص 69
- <sup>11</sup> ينظر: المرجع نفسه ، ص 95
- <sup>12</sup> ينظر: حبيب بوهرر: تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، ص 9
- <sup>13</sup> ينظر: ستار عبد الله ، إشكالية الحدائث في الشعر العربي المعاصر ، ص 75
- <sup>14</sup> ينظر: حبيب بوهرر: تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، ص 7
- <sup>15</sup> هشام محمد عبد الله ، التجربة الشعرية العربية ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2013 ، ص212
- <sup>16</sup> أدونيس: ها أنت أيها الوقت ، دار الآداب ، بيروت ، ط1 ، 1993 ، ص 176
- <sup>17</sup> هشام محمد عبد الله ، التجربة الشعرية العربية ، ص 219
- <sup>18</sup> أدونيس ، ها أنت أيها الوقت ، ص 72
- <sup>19</sup> المصدر نفسه ، ص 68
- <sup>20</sup> المصدر نفسه ، ص 72
- <sup>21</sup> ينظر: هشام محمد عبد الله ، التجربة الشعرية العربية ، ص 230
- <sup>22</sup> ينظر: حبيب بوهرر: تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، ص 67
- <sup>23</sup> ينظر: فاتح علاق : مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ، ص 91
- <sup>24</sup> هشام محمد عبد الله ، التجربة الشعرية العربية ، ص231
- <sup>25</sup> فاتح علاق: مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ، ص 92
- <sup>26</sup> ينظر: حبيب بوهرر: تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، ص 78

- <sup>27</sup> ينظر: جهاد فاضل ، قضايا الشعر الحديث ، ( حوار مع عبد الوهاب البياتي ) ، دار الشروق ، بيروت ، ط 1 ، 1984
- <sup>28</sup> ستار عبد الله ، إشكالية الحدائثة في الشعر العربي المعاصر ص 47، نقلا عن علي جعفر العلاق ، الشعر خارج النظم ، مجلة أقلام ، العدد 11 ، ع 11 ، 1989 ، ص 105
- <sup>29</sup> ينظر: مدحت الجيار ، موسيقى الشعر العربي - قضايا ومشكلات - دار المعارف ، مصر ، ط 1 ، 1995 ، ص 274
- <sup>30</sup> فاتح علاق : مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ، ص 145 ، نقلا عن عمر أزراج ، أحاديث في الفكر والأدب ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، الجزائر ، ط 1 ، 1984 ، ص 51
- <sup>31</sup> أدونيس ، مقدمة للشعر العربي ، دار العودة ، بيروت ، ط 3 ، 1979 ، ص 112 / أدونيس ، زمن الشعر ، دار الساقي ، بيروت ، ط 6 ، 2005 ، ص 156
- <sup>32</sup> ينظر: أدونيس ، مقدمة للشعر العربي ص 11 ، زمن الشعر ، ص 156
- <sup>33</sup> عصام العسال ، الخطاب النقدي عند أدونيس - قراءة الشعر أنموذجا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2007 ، ص 105
- <sup>34</sup> أدونيس ، سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت ، ط 2 ، 1996 ، ص 22-23
- <sup>35</sup> المصدر نفسه ، ص 19
- <sup>36</sup> أدونيس ، مقدمة للشعر العربي ، ص 112
- <sup>37</sup> أسيمة درويش ، تحرير المعنى ، دار الآداب ، بيروت ، ط 1 ، 1997 ، ص 56
- <sup>38</sup> أدونيس : الكتاب - أسس المكان الآن 1- ، دار الساقي ، بيروت ، ص 66
- <sup>39</sup> المصدر نفسه ، ص 165
- <sup>40</sup> أدونيس ، مقدمة للشعر العربي ، ص 126
- <sup>41</sup> أدونيس : الكتاب ، ص 319
- <sup>42</sup> أدونيس ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 2 ، دار العودة بيروت ، ط 4 ، 1985
- <sup>43</sup> محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته ، ج 3 ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 3 ، 2001 ، ص 97
- <sup>44</sup> ينظر: أدونيس ، زمن الشعر ، ص 136
- <sup>45</sup> المصدر نفسه ، ص 157
- <sup>46</sup> أدونيس : الكتاب ، ص 70
- <sup>47</sup> أسيمة درويش ، تحرير المعنى ، ص 57
- <sup>48</sup> أدونيس : الثابت والمتحول - صدمة الحدائثة - ، دار العودة ، بيروت ، ط 4 ، 1983 ، ص 294
- <sup>49</sup> ينظر: تاويريت بشير: استراتيجيات الشعرية والرؤيا الشعرية عند أدونيس ، دار الفجر للطباعة والنشر ، قسنطينة ، ط 1 ، 2006 ، ص 95
- <sup>50</sup> المرجع السابق ، ص 96 ، نقلا عن منير العكش: أسئلة الحدائثة ، دار الآداب ، بيروت ، 1979 ص 129
- <sup>51</sup> أدونيس ، زمن الشعر ، ص 40
- <sup>52</sup> أدونيس : الكتاب ، ص 139
- <sup>53</sup> ينظر: أدونيس ، زمن الشعر ، ص 143
- <sup>54</sup> المصدر نفسه ، ص 354
- <sup>55</sup> المصدر نفسه ، ص 355
- <sup>56</sup> المصدر نفسه ، ص 356
- <sup>57</sup> المصدر نفسه ، ص 356

- <sup>58</sup> المصدر نفسه ، ص 355
- <sup>59</sup> المصدر نفسه ، ص 356
- <sup>60</sup> المصدر نفسه ، ص 134
- <sup>61</sup> المرجع نفسه ، ص 183
- <sup>62</sup> أدونيس : الثابت والمتحول - صدمة الحداثة - ، ص 310
- <sup>63</sup> أدونيس : زمن الشعر ، ص 360
- <sup>64</sup> أدونيس ، زمن الشعر ، ص 359
- <sup>65</sup> مشري بن خليفة ، الشعرية العربية وإبدالاتها النصية ، ص 202؟
- <sup>66</sup> أدونيس : الثابت والمتحول - صدمة الحداثة - ، ص 310
- <sup>67</sup> أدونيس ، زمن الشعر ، ص 135
- <sup>68</sup> المصدر نفسه ، ص 136
- <sup>69</sup> نفسه ، ص 137
- <sup>70</sup> نفسه ، ص 138-139
- <sup>71</sup> أدونيس ، مقدمة للشعر العربي ، ص 102
- <sup>72</sup> نفسه ، ص 121